

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله خالق النساء، وفاطرهن على ما حسن وساء، بما اشتملن عليه من عفة وأهواء وهداية وإغواء، فهن محل تباين الأشياء، ومجمع اختلاف الأزياء، فى الأموات والإحياء، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل الأنبياء، الصادق الأنبياء الطيب البنات والأبناء، ابن عبد الله الأغر وآمنة الغراء، وأبى البضعة البتول فاطمة الزهراء. وبعل الحصائف، الكرام العفائف، خديجة الكبرى، وعائشة الصديقة الطهرى، وغيرهما من الأزواج الطاهرات، أمهات المؤمنين والمؤمنات صغاراً وكباراً. (أزواجاً مسلمات مؤمنات قانتات تبات عابدات سائحات صائمات ثيات وأبكارا) ورضى الله تبارك وتعالى عن جميع آل بيته الطاهرات، وكافة أصحابة الطيبين، إنهم (التائبون العابدون الحامدون السائحون - الصائمون - الراكعون الساجدون الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) (الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه) ولا يعرفونهم عن العمل به ذهول ولا غفلة ولا ستة (أولئك هم المفلحون) الناجحون الرابعون.

أما بعد: فهذا كتاب جمعت فيه بعض ما جاء فى النساء من ثناء ونثناء، ومدح وهجاء، وأخذ ورد، وحل وعقد، وفصل ووصل، وبخل وبذل، وكل ما له علاقة بهن، من تعليم لواجبهن، وتبيين لحالتهن، مما لم يجمع مثله فى كتاب، ولا طرق له باب، على كثرة ما أنف بهذا الخصوص، من أهداف وفصوص، وأفكار ونصوص. وإنى أقسم بالله وآياته، ومشعر الحج وميقاته إنه خير كتاب أخرجته يد العلم إلى منفعة النساء وهدايتهن، لما فيه سعادتهن وسلامتهن فى دنياهن وأخرتهن. ما قرأته امرأة أو قرئ لها، إلا انتفعت به أو نفعها ولا عملت بما فيه إلا كانت من المرضيات المقبولات، عند الله تعالى

وعند العاقلين والعاقلات. لأن كل ما فيه مؤيد بالآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة، وعلم العلماء، وحكم الحكماء، وأقوال الأدباء، وأفكار الشعراء، وفلسفة الفلاسفة وثمرات تجاريب أهل المعرفة، لا ترى فيه عوجاً ولا أمناً، ولا افتراء ولا بهتاً كما أنه ليس بحاجة إلى تقرّظ مقرّظ ومدح مادح، وإن كان لا يخلو من تشنيع مشنع وقدح قادح. سنة الله في خلقه، بحقه وبغير حقه. وما على فإن ما ذكرت فيه، يغنيه عن المدح والإطراء ويكفيه. مع هذا فإنني أعوذ بالله من الافتتان بإطراء المادح وإغضاء المسامح. كما أعوذ به من إزراء القادح، وهتك الفاضح. ولست أدعى في هذا المجال، العصمة والكمال. كلا فإنهما لله وحده، ولرسله عليهم الصلاة والسلام بعده. ولا تركية النفس فيما ألفت وصنفت، ففوق كل ذي علم عليم أكثر مما عرفت. وإنما أقول ذلك تحدثاً بنعمة الله، جل جلاله وعم نواله ونداه، والقصد من تأليفه، وتبويبه وتصنيفه، تبصير أخواتنا النساء بأمرهن، وتعريفهن بقدورهن، وإعلامهن بأن لهن من الحقوق مثل ما عليهن، فلا يتعدين حدود ولا يفرطن في معرفة ما لهن، ولا يكن مسلمات على الرجال، ولا أسيرات لهن بغير اعتدال. ولا يغترون بمن يزخرف لهن القول تغريراً، ليوقعهن بما يقبح عاجلاً ويفضح مصيراً. فإنهن رقيقات القلوب، دقيقات الجيوب، يصدقن كل ما يقال، ويحسبن كل شجرة في ظلها يقال. فتخرج درهن من أصداف الصيانة والعفاف، ويزاحمن الرجال من كل الجهات والأطراف والغوانى أفئدتهن هواء، ومن التبصر في العواقب خلاء، يغرهن الثناء، ويخدع الواحدة منهن قول أنت حسناء، وقد لا تكون من ذوات الحسن، أو إنها لا يقام لحسنها وزن، وإنما زينها الشيطان في عين من يراها، ووراء الأكمة ما وراها ولذلك كان من واجب كل ذى مروءة ودين، أن يتلافى الشر القاطع للويتن، باجتنب

كل ما يعد قوله عيباً وفعله عاراً، عملاً بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً) وينصيحة يسديها كل فرد من أفراد عقلاء الجنس الشريف - الرجال - إلى كل واحدة من آحاد النوع اللطيف - النساء - كل بحسب استطاعته، وبسط علمه وسعته، بادئاً أولاً بأهله وذوى رحمة، ومن ينفذ عليهم محكم كلمه. ضمن دائرة الشرع الذى هو بالحكمة موصوف، عملاً بحديث "من أمر بالمعروف فليكن أمره بمعروف" * رواه البيهقى - عن عبد الله بن عمر - مبتغياً بذلك وجه الله تعالى، وخدمة الأمة الإسلامية نساء ورجالاً. ليكون له من الحق جل وعلا عظيم الأجر، ومن الخلق جميل الذكر. وهذا يقتضيه شرع الله الذى أنزله على نبيه، من حيث أتباع أمره واجتناب نهيه، فلا يقال طارت الغيرة من الرعوس، أو أن فلاناً قلبه منكوس. وقد نرى ذكور العجماوات على إناسها تغار، إلا الخنازير ومن هو من هذا العيار. وأى عيب فى الناس هو أصبح من عيب إعراضهم، عن حفظ شرفهم ووصون أعراضهم. وهما من الستة التى حفظها على كل مسلم وجب، الدين والنفس والعرض والعقل والمال والنسب. وقد جعلت كتابى هذا تبصرة وذكرى، وإنذاراً وبشرى، أولاً لزوجتى وابنتى، وأهل بيتى وعترتى، ثم لكل فرد وفئة، من كل رجل وامرأة. لا سيما أرباب الأزواج، وأهل النسل والنتاج. كى لا يظن ظان أن القصد من التزوج أن تكون الزوجة غلاف بضعه. وفريسة شهوته وطبعه كما قال قائل فى امرأة له ماتت، وأمنيته منها فانت:

وكنت فريستى وغلاف بضعى فأضحى البضع ليس له غلاف

فلا ينظر فى عاجل أمرها، ولا أجل عمرها، إلا مما تحكم عليه شهوته، وتسوقه إليه غلمته فهى عنده غادية رائحة، مثل البهيمة السارحة. أو كمن

يتزوج بها لمطمع، فلا يبالي بما تصنع، وقد تذهب محمولة وتعود حامله، وهو غافل أو تغافل وهي غير غافلة. وما المرأة إلا مثل قطعة الشمع في يد الرجل، قابلة للانطباع لكل شكل وفيها الاستعداد التام للخير والشر، والقابلية الزائدة للنفع والضرر، قال رسول الله ﷺ - وكفى بقوله إيماناً وتصديقاً - "فجور المرأة الفاجرة كفجور ألف فاجر، وبر المرأة الصالحة كعمل سبعين صديقاً" - رواه أبو الشيخ بن حبان عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما - فليتبه الرجل لحسن القيام على من يعول، وليضرب بعرض الحائط كل سفسطة وفضول، وليعلم أنه راع وكل راع مسئول، وكل ما يرى فى النساء من قصور أو اعوجاج أو نقص أو خداع، فاللوم والتبعة فيه على ولاة أمورهن، من آباء أو أبناء أو إخوة أو أزواج:

وما الزوج إلا حيث يجعل عرسه كما هو أيضا حيث يجعل نفسه

ومن أراد أن ينعم حاله، ويرتاح باله، ويلتذ بما به يتمتع فلتكن أطوار أهله بمرأى منه ومسمع، فيقرهن على ما حسن وطاب، ويصدهن عما فيه اللوم والعتاب، ولا يكن ملقى الآذان، مستسلم الجنان. لشاعر يقول، ما لا تقبله العقول:

كل الليالى ليلة القدر اعتبر وكل ما تلقاه ظنه الخضر

كلا فإن هذا من التزهات، وسيدنا الخضر عليه السلام مات من زمن طويل وفات. وخيل الرهان فى حلبة الاختبار أسبق، ولسان التجربة من كل قول بعد قول الله ورسوله أصدق. ومن أطيب حالا، وأنعم بالا، ممن تكون زوجته معه صادقة، ولطبعه موافقة، ولقوله سمعية، ولامرأة مطيعة، لا تبغيه خيانة فى نفسها ولا تكتمه شيئاً من غمها وأنسها، وهو لحسن مسراها معه مقدر، وعليها وحدها مقتصر. وجميع ما فى هذا الكتاب من الأحاديث

مأخوذ من تفسير الدر المشور ومن الجامع الصغير وكلاهما للحافظ جلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ ومن كتاب كثر العمال لعلى علاء الدين البرهان نفورى الهندى المتوفى قتيلا سنة ٩٧٥ وهو فى الأصل الجامع الكبير للجلال السيوطى إلا ما عزوته إلى مأخذه من الكتب وفيه الصحيح والحسن والضعيف. وأرجو أن لا يكون فيه حديث موضوع إن شاء الله تعالى، وعلى فرض أنه وجد فإننى أبرأ إلى الله تعالى منه حيث لم أتعمد نقله وإنما العهدة والتبعة علة من ذكره وهو يعلم أنه موضوع. وسميت كتابى هذا (مرآة النساء) وليس للمرأة عن المرأة استغناء، والله يلهمنا رشدنا، وينعم بوسائل الإخلاص قصدنا، فما كان لله فهو المتصل، وما كان لغيره فهو المنفصل.

اللهم اصرفنا عن مذاهب الشهوات، وارشدنا فى غياهب الشبهات، وأطلق سراحنا من قيد الأهواء، وحررنا واعتقنا من رق الأغواء، وبنور وجهك اهدنا، كما ريبتنا فى مهدينا، وابعثنا من فراش الغفلة متبهيين، واجعلنا من الصالحين أو بهم متشبهين، وهب لنا من أواجنا وذرياتنا قررة أعين، واجعلنا للمتقين إماما، وامتعنا لما أنعمت به علينا من نعمك الظاهرة والباطنة تماما ودواما، ولقنا فى هذه الحياة نضرة وفى الممات سلاما، واصرف عنا عذاب جهنم (إن عذابها كان غراما إنها ساءت مستقرا ومقاما) وحسينا الله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى.